سينما

«غودزيلا ناقص واحد» لتاكاشي يامازاكي

فيلمٌ ضعيف تقنياً ومُربح تجارياً

يُثير جديد أفلام «غودزيلا» أسئلة عن التجاري والفني والسينمائي، وعن قبول الأقلّ أهمية من أجل ربح مالي، وعن حربٍ وثقافة وأسطورة وتاريخ

محمد بنعزيز

غريبان يلتقيان في زمن الحرب والجوع في يابان 1945. لا يجمعهما شيء. يحاولان بناء علاقة سليمة في ظروف صعبة تزداد سوءاً، فأشباح الحرب لم تنقرض. يكتشفان من ماضيهما أنّ بينهما مشتركاً كبيراً: البؤس والغربة. بَصَمَت الحرب السابقة حياتهما إلى الأبد. هذا في «غودزيلا ناقص واحد» (2023) لتاكاشي يامازاكي. «أين أمي؟». يتلقّى الرجل السؤال كصفعة. لا جواب للطفلة. من لا يفرح بما لديه يخسره. لذا، ينشأ تأنيب الضمير. يجلس الربّان الـ«كاميكاز» قبالة البحر ليرتاح، فيخرج الخطر أمامه. ينتظر اليابانيون سقوط قنابل أميركية، فيصعد غودزيلا من البحر. هكذا تطوّر الحدث من التربة التي تقف عليها الشخصية. يشعر المتلقّي بتماسك الحكي زمكانياً. يتّصف السرد الحديث بتركيب من أنويات عدّة. «غودزيلا» نوع هجين بثلاثة أبعاد، يمتزج فيه التاريخي بالعلمي والعجائبي. تاريخياً، وُضعت الحكاية منذ البداية في حقبةٍ تفرض تفسير أسطورة غودزيلا في ضوء واقع تاريخي سياسي. هذا فيلمٌ لتعليم التاريخ المأساوي لليابان، من مدخل الـ«سوبر هيرو» المشوّق. هل يمكن أنْ تتحرّر اليابان من قِيَم الساموراي الحربية، بينما بحر الصين يغلي عام 2024؟ علمياً، يمنح استمرار تأثير التسمّم الإشعاعي، المترتّب عن تفجير قنبلة هيروشيما الذرّية، آنيّةً وحيوية لحكاية غودزيلا. عجائبياً، طفت تبعات التفجير النووي على شكل غول صناعي: أيقظ الانفجار أسماك الأعماق المختلفة. هذا موضوع يغري المُشاهدين. «غودزيلا» عجائبيّ ومشحون بطاقة تخييلية متولّدة من سياق تاريخي، تُجسّم كوابيس الماضي. تسبّبت التفجيرات في تشكّل كائن عجيب من تفاعلات كيميائية. يخرج غودزيلا من البحر احتراماً لسُنَن متخيّل كوني يعتبر أنّ «البحر أم الكائنات الحية كلّها».

وحشٌ ينفّذ مهمة، ويعود إلى قاع البحر، ويتعافى من كلّ عنف، كغول تنبت له رؤوس جديدة كلّما قُطع له رأس. يُرى المشاهدون الفيزياء الحديثة في مواجهة قوى مجهولة. اليابان منزوعة السلاح تواجه غولاً. لا بدائل لديها. صار النقاش حول مشاركة اليابان في الحرب العالمية الثانية نقداً ذاتياً للبلد. كيف يبدأ بلد ما الحياة مجدّداً بعد حرب مُدمّرة؟ كيف يمكن التخلّص من كائن أسطوري يهجم على طوكيو، ويحطّم المباني العملاقة التي تُشكّل هوية المدن، ويتسابق السياح لالتقاط صُور فيها؟ هذا خطر داهم، لا يمكن للتكنولوجيا الحديثة إيقافه. في الفيلم نصف ساعة توثيق لمخلّفات الحرب، و90 دقيقة تخييل، تكشف تمظهرات الفزع من الحرب وردّ الفعل المقاوم. يبدو أنّ وحش غودزيلا في اليابان قضية دولة وشعب. ظهر الفيلم الأول منذ 70 سنة، زمن الحرب الباردة. تناول تحدّيات كيفية مواجهة اليابان غودزيلا، مع أنّها مهزومة ومنزوعة السلاح. كلّ استخدام للسلاح سيُفسَّر من الاتحاد السوفييتي كإعلان حرب. الفكرة جيّدة، وبُعدها البصري قوي. لكنّ التنفيذ متسرّع مقارنة مع «حرب العوالم» (2005)، لستيفن سبيلبيرغ. تملك اليابان تاريخاً عريقاً في رسوم الـ«مانغا» وقتال الساموراي. لكنّ، لميزانية الإنتاج أثرها على جودة الأفلام. ميزانية «غودزيلا» ضعيفة. الممثلون ذوو مواهب متواضعة. لا يخفي هذا التقييم الفني الحقيقة التالية: هذا فيلم ضعيف تقنياً، مقارنةً بأفلام الـ«سوبر هيرو» الأميركية. لكنّ هذا «العمل الفني شاهد على عصره» (جورج لوكاش). غودزيلا بطلٌ خارق طويل العمر، لا يشيخ. الدليل: هذا فيلم تجاري، له مشاهدون ينتظرونه دائماً، كأنّه سلسلة. يصدر فيلم عن غودزيلا كلّ سنتين تقريباً، منذ 1954، لأنّ الشركة المنتجة واثقة من الربح، لا من العبقرية الفنية للمخرجين. صار الفيلم الأول نموذجاً تجري محاكاته. عام 2024، يُعرض فيلمان عن غودزيلا في الصالات العالمية: «غودزيلا ناقص واحد» وGodzilla x Kong: The New Empire، لآدم وينغرد، عن صراع غودزيلا مع كينغ كونغ. يبدو أنّ المنتجين وقعوا على عرق الذهب، لإنتاجهم أفلاماً جديدة عن غودزيلا، فالربح مضمون. لعرق الذهب هذا جذر تاريخي. بالنسبة إلى مجتمع الساموراي، البطولة حرب. الشرف أنْ تموت في الحرب. هذا براديغم الحرب اليابانية. كلّ شخص عاد من الحرب حيّاً جبانٌ، يتعرّض للتشكيك بشرفه. بسبب انسحاب ونزول بطولي مشكوك به، تعرّض الربان الـ«كاميكاز» للعار. يُغيّر الفيلم الجديد هذا البراديغم المميت. يتحرّك غودزيلا، فتصعد أسماك من القاع إلى سطح البحر. يطفو ماضي اليابان على شاطئ طوكيو. يقصده الطيار واثقاً من النصر والبقاء حيّاً. تمّ تغيير براديغم الحرب اليابانية. كائن وحيد يحتلّ الشاشة. إنسان ووحش، وجهاً لوجه. تُسحِر الجاذبية البصرية للمواجهة بين المتناهي الصغر والمتناهي الكبر. غودزيلا في البحر شكل محدّد واضح، وبعيد عن الزحام، يحيط به فراغ لانهائي. من سينتصر؟ يقول منطق الحرب، بحسب كلاوزفيتز: «ألق بخصمك أرضاً قبل التحدّث معه». طبعاً، عندما تلقي خصمك أرضاً، ينتهي الكلام. لا ضرورة للمفاوضات. تمّ الانتقال من «قاتل لتموت وتحصل على الشرف» إلى «قاتل لتنتصر وتبقى حيّاً». الحياة أولاً: هذه ثورة ذهنية في منطق شعب الساموراي.

> تعليم التاريخ المأساوي لليابان عبر الـ«سوبرهيرو» المشوّق

تاكاشي يامازاكي حاملا مجسّما صغيرا لغودزيلا (كيفن مازور/Getty)

«موت» للألماني ماتياس غلاسنر

مُعاينة احتضار تحتاج إلى تأهيل سينمائي

محمد هاشم عبد السلام

حاول الألماني ماتياس غلاسنر، في «موت» (2024)، بعد أكثر من عقد على آخر روائي طويل له (2012)، «النعمة (Die Gnade)»، مُقاربة الموت في الإطار الأسري، برصد حثيث وصادق من زوايا مختلفة لمحنة أشخاص يقترب منهم الموت، ويحيطهم احتضار أقرب البشر إليهم. يتفاعلون مع الأمر بطرق متنوّعة، تفاجئ تارةً، وأحياناً تصدم. هذا يُثير أسئلة كثيرة، أبرزها عن الشعور بالذنب لعدم القدرة على التعامل مع الأمر، وأهمّها إنْ كان هناك شعور بالذنب أصلاً، وهل في تجنّب الموت، أو عدم الاقتراب الشديد منه، أو التعامل معه بخفّة، ما يُدين المرء أخلاقياً واجتماعياً وإنسانياً، أولاً؟

يُثير «موت» أسئلة أكثر، طرحها السيناريو الأصلي الذي كتبه غلاسنر للسينما مباشرة، ونال عنه جائزة «الدب الفضي لأفضل سيناريو» في الدورة الـ 74 (15 . 25 فبراير/ شباط 2024) لـ«مهرجان برلين السينمائي (برلينالة)». ورغم قوّة الفكرة المطروحة فيه، وتركيبة الشخصيات، إلى مواقف دراميّة أصيلة كثيراً، احتاجت الدراما إجمالاً إلى تعميق أكثر، وتكثيف شديد، وبعض الحذف. إذْ يتجلّى فيه أنّ هناك مخرجاً بارعاً في اختيار الشخصيات، وتقديم فيلم جذّاب، وموضوع أخّاذ رغم قتامته. لكنّ، كان يُفترض به أنْ يضطلع بدوره، ويكون أكثر صرامة مع نفسه عند التصدّي لتنفيذ السيناريو.

بصرف النظر عن المشاكل الدرامية للسيناريو، وافتقار الفيلم إلى سحر السينما، واقترابه أكثر من الدراما التلفزيونية؛ ورغم مدّته البالغة 183 دقيقة، فإنّه سهل التلقّي، ولا يُشْعِر بملل أو ضجر. أحياناً، يبعث على التسلية، وربما المتعة.

من عنوانه (موت)، وطبيعته الدرامية، يبدو بالغ الكآبة والحزن والجدّية. لكنْ، يُعوَّض عن هذا بمواقف ومَشاهد كوميدية متفرّقة، وإنْ كانت الكوميديا سوداء بطعم الموت، ومُحزنة أكثر منها مُفرحة. بعيداً عن الفكرة الجوهرية، المتمثّلة بالموت أو الاحتضار، الحاضرة في صلبه، هناك شخصيات حقيقية عميقة وأصيلة، مرسومة بجهد لافت للانتباه، يُمكن تأويل وتحليل وتفسير سلوكياتها وأفكارها بمعزل عن الحبكة والفكرة الرئيسية، والفيلم برمّته. فيه، يُنسَج أكبر قدر ممكن من الخيوط الدرامية الجامعة هذه الشخصيات، لخلق حالات ومواقف ودراما، تدفع إلى تأمّل علاقة الشخصيات وردود فعلها إزاء مفاهيم الأسرة والتضامن والحب والموت، وعشق . كره الحياة. وقبل هذا، ضرورة مُجابهة أمور وثيقة جداً بالموت والولادة، وتَعيّن اتّخاذ قرارات تجاهها، أو عدم اتّخاذ أي قرار.

يبدأ «موت (Sterben)» . المعروض في برنامج «آفاق»، في الدورة الـ 58 (28 يونيو/ حزيران . 6 يوليو/ تموز 2024) لـ«مهرجان كارلوفي فاري السينمائي» . بالوالدين العجوزين لونيز، ليسي (كورينا حرفوش) وغيرد (هانز أوي باور). ليسي تحتضر بسبب سرطان الرحم، وتُعاني مشكلات صحية أخرى، منها التبوّل اللاإرادي وصعوبة الرؤية بسبب السكّري. غيرد يحتضر، ومُصاب بـ«بارکنسون»، ومشاكل بسبب «ألزهايمر». يُحدّق غلاسنر في متاعب الشيخوخة وسكرات الموت ملياً، ويُثير السخرية بجرأة وبرود. فليسي، في البداية، تجلس على الأرض، وتبكي كالأطفال بعد أنْ لوّثت نفسها بالبول والغائط. بينما يتجوّل غيرد عارياً في الخارج، أمام الجيران، في فعلٍ يتكرّر، ولا يُمكن إيقافه. طريقة تصوير الحالة تُجسّد العبثية القائمة، وتُبرز جلياً كيف أنّه لا يمكن لأحدهما مُساعدة الآخر. الابن والابنة في انشغال مُتواصل بحياتهما اللاهثة، ويتعذّر عليهما المُشاركة دائماً. ما يُؤدّي إلى تأزّم الأمور، دخول ليسي إلى المستشفى إثر أزمة قلبية، وما يترتب عليه من نقل غيرد إلى مُنشأة رعاية صحية.

ثنائية الموت والحياة حاضرة أيضاً. تتّصل ليسي بتوم (لارس إيدنغر)، ابنها المُلحن وقائد الأوركسترا، فيعتذر عن عدم الحضور للمساعدة، لانشغاله مع شريكته السابقة ليف (آنا بيديركي)، التي أنجبت طفلاً للتوّ. توم ليس الأب البيولوجي، لكنّ ليف في خلافٍ مع والد الطفل، وتُريد توم إلى جانبها. هذا أحد المواقف الحياتية العديدة، المُلتبسة والغريبة، التي تجعل الفيلم فعّالاً للغاية. خصوصاً، عندما يحاول توم، في الفصل الثاني، الموازنة بين عمله وتلبية مسؤولياته تجاه والديه، وتجاه الطفل الذي ترغب حبيبته السابقة في أن يُربّيه ويعتني به، بدلاً من والده البيولوجي الأخرق. إضافة إلى أنّ حياته، النفسية والعاطفية والاجتماعية والجنسية، مُرتبكة، فهو لا يزال يحبّ ليف، ومرتبط بعلاقة جنسية، شبه عاطفية، مع مُساعِدته في الفرقة، ويستعدّ لتقديم سمفونية جديدة، تستغرق وقته كلّه.

صديقه برنارد (روبرت غْفيسدك)، مُؤلّف سمفونية «موت»، يعاني عدم اتّزان نفسي، واكتئاباً حادّاً، ورغبة جارفة في الانتحار. يمارس أحياناً العنف ضد صديقته وتوم. قبل كلّ شيء، لا يُعجبه أداء العازفين لمقطوعته، ولا قيادة توم لها، والمُوسيقيون لا يفهمون الفروق الدقيقة في مقطوعته. محادثاتهم معه ومع توم تُؤدّي إلى نقاشات عن الموت، وطرق جديدة للتعبير والأداء، وتتطرّق إلى مناقشة جادة وعميقة عن الفنّ وماهيته وغرضه، خصوصاً الفنّ الحقيقي الأصيل، في مُقابل الفنّ الزائف والهابط.

في فصل آخر، تظهر الابنة الشابة إلين (ليليث ستانغنبرغ)، طبيبة أسنان مُساعِدة، مُتهوّرة وتحبّ الغناء. مرتبطة بعلاقة مع صاحب عملها، الطبيب سيباستيان (رونالد زهرفيلد). في أول ظهور لها كانت، لسبب غير مفهوم حتّى بالنسبة إليها، في فندق في «ريغا»، عاصمة لاتفيا. كيف وصلت إلى هناك؟ تدريجياً، نكتشف إدمانها الكحول، وحياتها الفوضوية المجنونة، التي تخلق غالباً بعض الكوميديا، وتؤكّد التباين السافر مع هدوء ورجاحة شقيقها المُتّزن. في مقابل العلاقة الجليدية، المُرتبكة والمُعقّدة، بين توم ووالديه، لم تكن العلاقة واضحة أبداً بين إلين ووالديها. لعلّ سبب ذلك أنّها تعيش في هامبورغ، على عكس توم الذي يعيش قريباً منهما في برلين. مع الوفاة الوشيكة لليسي، والتخبّط الجليّ لتوم بين النجاح والفشل، عاطفياً ومهنياً وأبوياً، وخطط برنارد للانتحار بعد وقت قصير من عزف مقطوعته الأخيرة، وإصرار إلين على الانتقام من نفسها والانصياع لحياة خالية إلا من السُّكر، يتهيّأ الجميع لاحتضار وشيك، ربما من دون أنْ يدروا بذلك.

فنياً، هناك مشاكل مُزعجة في «موت»: ما الوجاهة في تقسيمه إلى خمسة فصول؟ لماذا خبت البداية القوية وضعفت؟ لماذا لا ينسجم الفصل الخاص بإلين وبقية الفيلم؟ هناك أيضاً أحداث طويلة مُقحمة وغير مُبرّرة، وسخيفة أحياناً: مواجهة توم ووالدته، واعترافات مُزعجة وقاسية من أمّ لابنها، تشرح فيها سبب كراهيتها له كطفل، إلخ. هناك مشهد لا يُعرف تحديداً هل أراده غلاسنر كوميديا سوداء، أو تراجيديا سيكولوجية صرفة، أو ماذا. المُهم أنّه مزعج كثيراً لانتفاء مصداقيته، وضعف الأداء وتكلّفه. إضافة إلى بداية السرد من وجهة نظر، والانتقال في الفصل التالي إلى السرد من وجهة نظر أخرى، ثم تخلّيه عن هذا مع تقدّم السياق.

بتجاوز الأمور المُزعجة، لـ«موت» قدرٌ كبير من الأهمية، إنسانياً على الأقلّ، إذْ تُذكّر أفلامٌ كهذه بأنْ نُحبّ، ونلتمس الأعذار، ونُسامح، إن أمكن هذا. وطبعاً، التفكير في الموت وآلياته، وعدم خشيته، والترتيب له، والتعامل معه بجدّية، ومن قرب، سواء مَسَّنا مُباشرة، أو مَسّ أحباباً لنا ومُقرّبين منّا.

«موت»: افضل سيناريو لشبه دراما تلفزيونية (الموقع الإلكتروني لـ«برلينالة 74»)

> تحديق بصريّ في متاعب الشيخوخة وسكرات الموت مليّاً

أفلام جديدة

■ Winter Break لألكسندر باين، تمثيل بول جيامیتي ودومينيك سيسا ودافين جوي راندولف (Getty): في موسم الإجازات السنوية، عام 1970، يضطر مُدرّس كلاسيكي صارم، يعمل في مدرسة داخلية في نيو إنغلاند منذ سنين مديدة، إلى أنْ يهتمّ بعددٍ قليلٍ من الطلاب، الذين ليس لديهم أي مكان يذهبون إليه في إجازة عيد الميلاد. أيامٌ يمضونها معاً، فيشهدون فيها تغييرات جذرية في سلوك وتفكير وعلاقات وانفعالات.

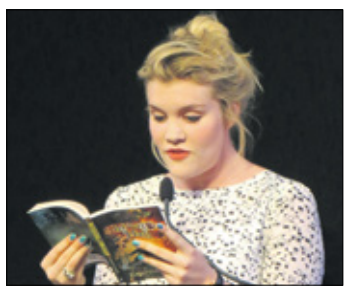

■ Saltburn لإيمرالد فِنّيل (ويكيبيديا)، تمثيل باري كيوغان وجايكوب إلوردي ورزوامواند بايك: طالبٌ شاب يُدعى أوليفر كويك، يكافح من أجل العثور على مكانة له في جامعة أكسفورد، يجد نفسه منجذباً إلى عالم الساحر والأرستقراطي فيليكس كاتون، الذي يدعوه إلى سولتبورن، وهذا عقار شاسع تملكه عائلته غريبة الأطوار، لتمضية صيفٍ لن ينساه قريباً، لما فيه من مغامرات ومخاطر.

■ The Bride لماغي غيلينهال (Getty)، تمثيل بيتيلوب كروز وكريستيان بال وجيسي باكلي: بعد أربعة أعوام على إخراجها أول فيلم لها، «الابنة المفقودة» (2021)، تُنجِز غيلينهال جديداً لها بصفتها مخرجة، تعود فيه إلى ثلاثينيات القرن الماضي، عندما يزور المخلوق الشهير فرانكشتاين المدينة الأميركية شيكاغو. هناك، يتصل بعالِم يُفترض به أنْ يقدر على خلق زوجة لَه من جثة امرأة مقتولة.

■ Road House لدوغ ليمان، تمثيل جاك غيلينهال وكونور ماكغريغور ودانيلا ملكيور (Getty): يحاول دالتون، الرياضي السابق في «بطولة القتال النهائي (UFC)»، أنْ يهرب من ماضيه المظلم وميله إلى العنف. لكنْ، عندما تلتقيه فرانكي، مالكة محطة الشاحنات، تعيّنه حارساً جديداً لها، على أمل مواجهة عصابة براندت، الساعي إلى تدمير الحانة الخاصة بها. تزداد المخاطر مع وصول نوكس، القاتل المأجور الذي لا يرحم.

■ Bionic لأفونسو بويارت، تمثيل جيسيكا كوريس وغابرييلا نانس (فيسبوك) وبرونو غاغْلياسو: فيلم جديد ينتمي إلى سلسلة أفلام الخيال العلمي، تدور أحداثُه في مستقبل مظلم، يشهد ثورة خطرة لأطراف اصطناعية خاصة بالـ«روبوت»، في مجال الرياضة. عندها، تتنافس شقيقتان في رياضة الوثب الطويل، لكنّ التنافس سيقودهما معاً إلى طريق شريرة، ستحتاجان فيها إلى مساعدة ما للنجاة.